الفنادق بالمغرب الأوسط ودورها في تعزيز الصلات الاقتصادية
بوسالم أحلام ، المجلد الرابع عشـر، العدد 1، ديسمبر 2023،
ص ص 43-56
DOI: 10.54242/1702-014-001-003

ISSN (Online): 2571-9742
ISSN (Print) : 1112-945X

الفنادق بالمغرب الأوسط ودورها في تعزيز الصلات الاقتصادية مع دول الحوض الغربي للبحر المتوسط "فنادق المملكة الزيانية أنموذجا"

The fanadiq in the central Maghreb and their role in promoting economic relations with the western basin of the mediterranean The fanadiq of the zayanid kingdom as a model

أحلام بوسالم (*)

المركز الجامعي النعامة، الجزائر

Boussalem Ahlem

boussalem.ahlem@univ-naama.dz

تاريخ الإيداع: 2022/11/27 تاريخ القبول: 2023/11/12 تاريخ النشر: 2024/01/31

الملخص:

تعدّدت أشكال العمارة التجارية في المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، وتنوعت مرافقها لتشمل الأسواق، والدكاكين، والقيساريات، والحوانيت والفنادق، هذه الأخيرة ونظرا للخدمات التي كانت تقدمها للتجار والتجارة، فإنها ظلت محل اهتمام السلطة الزيانية وهيئاتها المختصة وذلك من خلال التأطير والمراقبة، وقد انتشرت هذه المرافق (الفنادق) مغطية ربوع المغرب الأوسط، وتجاوز دورها البعد المحلي، لتلعب دور الوسيط التجاري بين عالمي الشرق والغرب، والشمال وإفريقيا جنوب الصحراء.

الكلمات الدالة:

الفنادق؛ التجارة؛ المعاملات التجارية؛ المغرب الأوسط؛ المملكة الزيانية؛ دول الحوض الغربي للبحر المتوسط؛ العصر الوسيط.

(*) المؤلف المرسل: أحلام بوسالم: boussalem.ahlem@univ-naama.dz

الفنادق بالمغرب الأوسط ودورها في تعزيز الصلات الاقتصادية
بوسالم أحلام ، المجلد الرابع عشـر، العدد 1، ديسمبر 2023،
ص ص 43-56
DOI: 10.54242/1702-014-001-003

ISSN (Online): 2571-9742
ISSN (Print) : 1112-945X

Abstract:

There were many forms of commercial architecture in the central Maghreb during the Middle Ages , and its facilities varied to include markets, shops, caesariyas, and fondacs, the latter and due to the services it provided to merchants and trade, it remained the focus of attention of the authorities and their competent bodies, through supervision and control, and The fanadiq have spread covering all parts of the central Maghreb and their role has gone beyond the local dimension to play the role of a commercial mediator between the worlds of East and West, South and North, and sub- Saharan Africa .

Key Words:

The fanadiq; trade; commercial transactions; central Maghreb; Zayanid kingdom ; countries of the western mediterranean basin ; Middle Ages .

****

مقدمة:

إن الإضطرابات السياسية التي عاشتها الدولة الزيانية لم تنعكس سلبا على حياتها الاقتصادية على العكس فإن الدولة وبسبب الحصار العسكري المفروض عليها من طرف الدولتين الحفضية والمرينية، جعلها تبحث عن مجال حيوي لتصريف بضائعها، وتلبية احتياجاتها، وكان هذا من خلال الانفتاح على السوق المتوسطية، ومد جسور التواصل مع إفريقيا الصحراوية، هذه السياسة عزّزت من حضور الجاليات ذات المهام الاقتصادية، والتي استوطنت وأتخذت من تلمسان قاعدة لمعاملاتها، وقد كانت هذه الفنادق لا سيما في بقية الحواضر التابعة لتلمسان على غرار وهران، وهنين بمثابة أقطاب إقتصادية جمعت بين التجار المسلمين والغربيين ضامنة تدفقا للأموال والسلع والبضائع، مما انعكس إجابا على السلطة الزيانية ورعيتها.

وباعتبار أن الفنادق مراكز حاضنة للنشاط التجاري، وفضاءات ساهمت في توثيق العلاقات وتزايدها بين الأقاليم والدول لما تقدمه من خدمات متعددة للتجار الوافدين للحواضر التجارية احتلت الصدارة ضمن قائمة المنشآت التجارية بالمغرب الاوسط التي عزّزت من ارتباطاته الاقتصادية وعلاقاتها التجارية لاسيما مع دول الحوض الغربي للبحر المتوسط .

أولا: الفندق بين المصطلح والوظيفة:

الفندق في بلاد المشرق الإسلامي كما عرّفه ابن منظور في معجمه:" خان ينزله الناس ممّا يكون في الطرق والمدائن"[1]، وهو اصطلاح شاع استخدامه في بلاد المغرب الإسلامي دلالة على

ISSN (Online): 2571-9742
ISSN (Print) : 1112-945X

نزل أعدّ لإقامة الانسان والحيوان على خطوط القوافل التجارية[2]، وهو لفظة آرامية الأصل، دخلت الفارسية، ثم التركية، ثم العربية وتعني بالفارسية: الحانوت، وفي التركية: دار العمل والتجارة، وتتشابه وظيفة الفندق مع الخان وتخطيطه[3]، بل اعتبر من مكونات التجهيزات الحضرية الراسخة في المدن التجارية الكبرى[4].

من الملاحظ أن هناك العديد من وجهات نظر المؤرخين حول أصل كلمة "فندق" غير أنهم اتفقوا حول وظيفته، حيث عرّف المؤرخ De Mas latrie كلمة فندق أنها كلمة عربية وتعني مخزنا أو سوقا، فيما يرى Le Tourneau أنه مصطلح إغريقي يستعمل خاصة في بلاد المغرب، ويطلق على النزل المخصص لإيواء الأشخاص والحيوانات مثل الخان ببلاد المشرق[5]، في حين اعتبرها " برونشفيك" إسما اغريقيا pondokeion أو pandochai عرّب فيما بعد، يتكون من عدة غرف للسكن، وفرن ومستودعات ومخازن ومكاتب القنصلية[6]، وقد ذكرت المصادر العربية مصطلح فندق للتعبير على مقر إقامة التجار المسيحيين بالمغرب الاسلامي[7]، وهو نفس المصطلح المستعمل في اللاتينية[8]. والفندق حسب المؤرخة " أوليفيا ريمي كونستابل " هو عبارة عن فضاء تجاري يقع بجوار المدينة المغربية يقدم للتجار خدمات متعددة، ويوفر لهم ما يحتاجون إليه من أمن، وسكن، وتخزين[9]، وهو يضم العديد من المنشآت ويحتوي على مرافق مختلفة تلبي حاجات التجار، والتي منها: السكنية لإقامة القنصل[10] والتجار، والمخزنية لتخزين السلع والبضائع[11]، كما تضم مكاتب مخصصة للتنظيم، وتسيير الشؤون العامة للجالية المقيمون تجارها به[12]. والفندق في ناحيته المعمارية غالبا مايتكون من طابقين أو أكثر يتوسطه فناء، به عدة غرف للسكن وإيواء التجار والمسافرين، وتخصص أجزاؤه السفلى لتخزن السلع والبضائع، كما يتوفر على مربط للدواب المصاحبة للقوافل التجارية، كما يحتوي على فرن ومستودعات، ومخازن لتخزين البضائع ودكاكين لبيع المنتوجات الحرفية، والسلع المعروضة.

ولأن هذه الفنادق خصصت غالبا للتجار النصارى فقد كانت من ضمن ملحقاتها الكنيسة لتأدية العبادات والاحتفالات الدينية الخاصة بهم، كما تم تخصيص مدافن لموتاهم، إضافة لسجن لمعاقبة التجار المخالفين للبنود والمعاهدات المنصوص عليها[13]، وكذلك حمام خاص بهم[14]، كما كان يحتوي الفندق على مكتبان مخصصان لمراقبة أوضاع الفندق والمعاملات التي كانت تتم داخله من بيع وشراء، ومزايدة ،خاصة قمع الغش في الكيل والميزان،

الفنادق بالمغرب الأوسط ودورها في تعزيز الصلات الاقتصادية
بوسالم أحلام ، المجلد الرابع عشـر، العدد 1، ديسمبر 2023،
ص ص 43-56
DOI: 10.54242/1702-014-001-003
ISSN (Online): 2571-9742
ISSN (Print) : 1112-945X

ومحاربة الفسق والممارسات اللاأخلاقية فيه[15]، كما كانت تستغل أحيانا كمراكز لجمع الضرائب الموظفة على بعض المعاملات التجارية[16].

وعليه فإن الفندق تعددت وظائفه، والتي جمعت بين تخزين السلع وتوزيعها، وإيواء التجار، وجمع الضرائب، فوظيفته الأولى خزن السلع والبضائع لتوزيعها بعد ذلك بالجملة، والثانية إيواء النزلاء من التجار الوافدين، وكلما كانت المدينة نشطة اقتصاديا وتجاريا كلما ازداد عدد فنادقها، وارتفعت ضرائبها وإيراداتها، ونظرا لأهميتها(الفنادق) كانت تقام بجانب الأبواب الكبرى للمدن ملحقة بالأسواق المركزية، وعلى جوانب الشوارع الرئيسية أين كانت تعقد الصفقات، وتبرم المعاهدات التجارية، وتنظم أمور التجار وتراقب أنشطتهم[17].

ثانيا: الفنادق بالمغرب الأوسط الظهور والتطور:

إن ظهور الفندق كهيكل تجاري خاص بالتجار الأجانب قديم الظهور، إذ تشير النصوص المتاحة لدينا إلى تواجد الفنادق منذ الفترة الإسلامية الأولى ببلاد المغرب، ومن بين الإشارات الأولى حول تواجدها بالمغرب الأوسط يرجع إلى فترة حكم الأغالبة لبلاد كتامة[18]، حيث وجد فندقا بميلة خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين/ التاسع والعاشر الميلاديين، ويسمى بفندق " فرجون " نسبة لمالكه، وحول ذلك أورد القاضي النعمان نصا جاء فيه:" ...فمضى رجل من بني سكتان، حتى دخل ميلة، فقصد فندقا بها كان لفرجون"[19]، كما تواجدت فنادق في كل من بونة وبجاية[20] وبعض المدن الداخلية كقسنطينة[21]، أما باقي المدن الأقل أهمية وإن كانت ساحلية مثل: جيجل وسكيكدة فكانت توجد بها مكاتب تجارية ومخازن للسلع[22] ومبان ذات أفنية صغيرة، تحتوي على مخازن ودكاكين وغرف لمبيت التجار، وأخرى للاستحمام، لكن الحيوانات لم يخصص لها مكان في هذا الفضاء التجاري إلا خلال الفترة الموحدية وما بعدها، حيث خصصت مساحات داخل الفندق للحيوانات المستخدمة في نقل التجار والبضائع والسلع[23].

وعليه وحسب ما أتيح لدينا من معلومات فإن ظهور الفنادق بالمغرب الأوسط قد سبق الفترة الزيانية بكثير، غير أن انتشار هذه البنايات التجارية وتطورها كان خلال العهد الموحدي، حيث اختصت السلطة الموحدية بالتحكم في أماكن إقامة الفنادق، وتحديد المناطق المخولة للتعامل التجاري مع الأجانب وفق اتفاقيات السلم والتجارة، وهذا نستشفه من خلال المعاهدة التي أبرمها الخليفة المنصور (554-595هـ/1160- 1199م) مع حكومة بيشة سنة 582هـ/1186م صالحة لمدة 25 سنة والتي جاء ضمنها تحديد المراكز التجارية التي يقتصر

ISSN (Online): 2571-9742
ISSN (Print) : 1112-945X

التعامل معها ومن بينها مدينتي وهران وبجاية بالمغرب الأوسط إلى جانب سبتة بالمغرب الأقصى وتونس بالمغرب الأدنى[24]، ومن بين القرائن الدالة على تواجد الفنادق ببجاية الموحدية ماجاء به التادلي(617هـ/1220م) في مناقب أحمد بن عبد العزيز السلاجي الخراز وهو من مراكش حيث أشار أن هذا الأخير قدم بجاية ونزل في فندق يخرز فيه واعتزل الناس[25]، وفي نفس السياق يؤكد التادلي[26] في أحد إشاراته أن فندقا ببجاية تحول إلى ملجأ للضعفاء والمساكين، وهذا زمن المجاعة التي أعقبت ثورة بنو غانية سنة 580هـ/ 1185م قائلا:"...حدثني أبو علي عمر بن يحي الزناتي عن مخبر أخبره قال: كنا ببجاية فأصابتنا مجاعة شديدة، فمر أبو زكرياء إلى العامل فاكترى منه فندقا كبيرا بنحو ثلاثمائة دينار، ثم مرّ إلى أعيان بجاية، فكلمهم واحدا بعد واحد في معونة المساكين فيدفع له كل واحد منهم ما يطيقه، فلما اجتمع عنده مال كثير دفع إلى العامل كراء الفندق... ثم مشى بطرقات بجاية فكلما مر بمسكين دفع له ما يقيه وقال له: إذهب إلى الفندق الفلاني، فلما اجتمع المساكين بالفندق اشترى لهم من اللباس ما يدفع عنهم البرد واشترى لهم ما يقوم بهم من الطعام وجعل عليهم قيما يقوم بهم وأغناهم عن السؤال إلى أن أخصب الناس في العام الثاني...". مما يؤكد وجود الفنادق في بجاية خلال القرن السابع هجري/ 13م.

وقد ذكرت الدارسون الأجانب مواصفات الفنادق خلال الفترة الموحدية، وعلى رأس هؤلاء " دوماس لاتري " الذي اعتبر الفندق مبنى يشبه المدينة إلى حد ما لما يحتويه من مرافق متعددة الخدمات تكاد تكون متكاملة[27] ، فهو يحتوي على كنيسة لأداء الشعائر الدينية، وفرن لإعداد الطعام للمسافرين، ومقبرة لدفن الموتى، بالاضافة لوجود محلات أخرى لتقديم الخدمات الضرورية الأخرى الخاصة بالتجار، كمحلات وخياطة الملابس وصناعة الأحذية ... بالاضافة لوجود محلات لدباغة الجلود[28]، ويبدو جليا من خلال الإشارات الواردة في المصادر أن تواجد الفنادق بالمغرب الأوسط قدّر بأعداد كثيرة، خاصة في المدن التي ينزل بها التجار والأجانب والغرباء، ولعل أهمها مدينة بونة، قسنطينة، بجاية، الجزائر وهران، وتلمسان وغيرها من المدن التجارية الهامة، أما المدن التي لم تكن تتوفر على الفنادق فإن التجار النازلين بها يلجئون إلى أصدقائهم ومعارفهم، وفي بعض الأحيان يتطوع شخص من أعيان المدينة لاستقبالهم واستضافتهم[29].

والجدير بالذكر أن هذه المؤسسة بعدما تعاظم دورها وبرزت أهميتها تطورت مرافقها من شكلها البسيط، فبعد أن كانت عبارة عن مبنى مكون من أفنية صغيرة ومخازن ودكاكين وغرف

ISSN (Online): 2571-9742
ISSN (Print) : 1112-945X

للتجار وغرف للاستحمام[30] دون أن يكون هناك أماكن للحيوانات المخصصة للركوب، ازدهرت عند التجار الأروبيين لتتوافق مع نمط حياتهم ومصالحهم التجارية وحتى الدبلوماسية، فتم استحداث جهاز إداري دائم لتسيير شؤونها وتنظيم علاقاتها مع الدول الإسلامية يتكون من أصحاب المصالح ذاتهم[31]، فظهر منصب القنصل الذي يمثل الدولة ويحل مشاكلها[32].

ثالثا: فنادق المملكة الزيانية وأهميتها في التواصل التجاري مع دول الحوض الغربي للبحر المتوسط

لقد شهد الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط خلال العصر الوسيط تنافسا تجاريا هاما على السلع المغربية والإفريقية على حدّ السواء، ونظرا للموقع الجغرافي الهام والاستراتيجي الذي تمتع به المغرب الأوسط الذي جعله يلعب دور الوسيط التجاري بين العالم الإسلامي والقوى المسيحية من جهة، والتسهيلات التي منحتها الدولة الزيانية لصالح التجار المسيحيين تدفقت أعدادا هائلة من تجار الدول الأروبية وعلى الخصوص الجمهوريات الإيطالية، وإمارة أراغون، وقشتالة، والبرتغال وجنوب فرنسا على موانئ المغرب الأوسط التي تتوفر على المنتوجات المتنوعة والمتعددة، من أجل ممارسة عملية التبادل التجاري في إطار منظم ومستمر، فظهرت خطوط بحرية حيوية بين الضفتين دامت عدّة قرون محقّقة أرباحا مالية كبيرة.

ومن البديهي أنه ثمّة عوامل أخرى دافعة ومشجعة على هذا الإقبال ولعلّ في مقدمتها طبيعة العلاقات السياسية بين الطرفين التي كانت تتسم بالود، والتي شجعتها المعاهدات المبرمة في حالات الخلاف وتهيئة موانئه أمام التجار والسماح لهم بممارسة نشاطهم التجاري بكل حرية، مع توفير ما يضمن أمنهم وأمن سفنهم، ونتيجة هذه المعاهدات والتسهيلات إنتعش التبادل التجاري بين المغرب الأوسط ودول الحوض الغربي للمتوسط، وزاد حجم المبادلات، وتنوعت المواد المتبادلة، وتضاعف حجمها حتى صارت إقامة التجار في الموانئ والحواضر التجارية أمرا ملحا وضروريا[33] فظهرت الفنادق كمؤسسات تجارية ساهمت في تنشيط الحركة التجارية وضبطها بين الطرفين.

ولأن المغرب الأوسط كان يشكّل خلال الفترة الزيانية سوقا مهمة لبعض المنتوجات اللإفريقية[34] وهي ما كان يحتاج إليها الأروبيون لاستخدامها في مختلف المجالات، وباعتباره "بوابة إفريقيا السوداء" توافد تجار الدول الأروبية المطلّة على البحر المتوسط على مدن وحواضر الدولة الزيانية التي كانت تعجّ أسواقها بالباعة والتجار خاصة بموانئ وهران والمرسى

ISSN (Online): 2571-9742
ISSN (Print) : 1112-945X

الكبير وصولا إلى تلمسان عبر مرسى هنين، باعتبار أن عاصمة الزيانيين تلمسان كانت تشهد انتعاشا اقتصاديا شمل القطاعات الإنتاجية الثلاثة الفلاحة، الصناعة وكذا التجارة وذلك راجع إلى توفرها على مختلف المواد الأولية، واهتمام السلاطين بالصنائع وتشجيعها، وحسب القرائن التي رصدت لنا هذا الانتعاش[35] فإن هذه الحاضرة كانت تتوفر على أسواق قائمة تزاول بها مختلف الصنائع والتجارات موزعة عبر الأحياء والأزقة[36]، ولأنها قفل بلاد المغرب وبوابة منفتحة على الشرق والغرب، الشمال والجنوب كانت ممرا حيويا للبضائع السودانية والأروبية معا، ولعلّ من أهم صادراتها: الأصواف، والمنسوجات، والمواشي، والحبوب، والتمور، والكتب فضلا عن البضائع السودانية التي كانت تجلبها القوافل التجارية كالعاج، والتبر، والعبيد الأسود[37]، والأحجار الكريمة، والملح، والشب، والتوابل، والعنبر وغيرها من المواد النادرة، أمّا عما كان يعرضه تجار الضفة المقابلة بمراسي الدولة الزيانية فهي كثيرة متمثلة أساسا في: الزجاج، والثياب الحريرية والقطنية، والعبيد الصقلبي، والنحاس، والعطور، وغيرها[38].

ونظرا للخدمات التي كانت تقدمها الفنادق لم ينقطع تجار الضفّة الشمالية عن أسواقها حتى في أوقات الخوف واللاأمن، ممّا كان يلجأ الطرفين إلى إقامة معاهدات السلم والتجارة، وهنا يمكن القول أن طبيعة العلاقات التجارية بين الدولة الزيانية وبلدان الحوض الغربي للمتوسط كانت مقننة، مرتبطة بالمعاهدات ذات الشروط الواضحة، وقد كانت هذه المعاهدات تبنى على قاعدتين أساسيتين هما: الضمانات المعهودة للتجار المسيحيين، وكذا واجبات هؤلاء التجار مقابل هذه الضمانات[39].

أمّا عن طريقة التعامل داخل الفنادق فقد كانت تتم بطريقة منتظمة وقانونية، حيث يضع التجار الأجانب تجارتهم في دكاكين الفندق، ثم يعرضونها على الزبائن، ويتم البيع فيه عن طريق الجملة أو بالتجزئة، ويشرف على تسيير الفندق وتنظيم حركة التجارة به موظف يعرف بالفندقي، وهو مندوب القنصل، وكان التجار الأوروبيون لايرغبون في الذهاب بتجارتهم إلى جوف الصحراء، ولا يتوغلون فيها وإنما كانوا ينتظرون بفنادقهم قدوم التجار من المسلمين واليهود بالذهب والعاج، وريش االنعام وهي البضائع التي تشتهر بها بلاد السودان.

ومن البديهي أن مدّة الإقامة داخل هذه المؤسسات كانت تختلف ما بين جالية وأخرى وكذا ما بين تاجر وآخر وذلك كل حسب مكانته ورأسماله وكذا سمعته وعلاقاته، وعلى سبيل المثال لا الحصر كانت إقامة البنادقة في أواسط القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي

ISSN (Online): 2571-9742
ISSN (Print) : 1112-945X

أكثر من عشرة أيام في فنادق وهران، لتصل سنة 1451م مابين 15 و20 يوما، بينما اقتصرت على تلمسان أربعة أيام بالنسبة إلى بجاية والجزائر[40].

وحسب الإشارات الواردة في المصادر فإن الفنادق الايطالية قد توزعت بتلمسان، ووهران، وبجاية، وبونة، وجيجل[41] ويشير الوزان إلى وجود فنادق في تلمسان مبنية على النمط الإفريقي، منها إثنان لمقام تجار جنوة والبندقية، وفندق لإيواء الغرباء من أبناء ملوك بني مرين بمنطقة العباد بتلمسان[42]، وكانت وهران قبل احتلالها من طرف الاسبان مهبط التجار القطلونيين والجنويين،" ومازالت بها دار تسمى دار الجنويين، لأنهم كانوا يقيمون بها"[43]، كما احتوت على فندق مرسيليا[44] حيث كان يقيم به تجار هذه المدينة الفرنسية نظرا للعلاقات التجارية التي كانت تربطها بالدولة الزيانية.

وكان لكل طائفة تجارية مسيحية مترجم خاص بها مقابل مبلغ من المال، وهناك حقوق اخرى كحق الوزن والتخزين والتفريغ، الذي يقوم به الحمالون، والظاهر أن أغلبهم كانوا مسلمين من أهل المدينة، وربما يوجد مسيحيون من بينهم، وكان الزيانيون يكثرون من مكاتب الجمارك حتى يتحكمون في الصادر والوارد، بفعالية وصرامة، وبالتالي يحدون من عمليات التهريب والاحتيال. كما كانت لتلمسان جمارك مركزية وأخرى فرعية في كل من: هنين ووهران التابعتين لنفوذ بني زيان، وفي الغالب كان التجار المسيحيون الذين يمرون على مكتب الجمارك بالمدن الساحلية للدولة ويدفعون مستحقات الضرائب يمكنهم من الاعفاء عند دخولهم المدن الداخلية بمجرد استظهار وصل الدفع[45].

وقد تنوعت ملكية الفنادق بين الخواص والسلطة الحاكمة، غير أنه من المستبعد امتلاك الخواص للفنادق التي تأوي الأجانب من التجار المسيحيين، وكانت غالبيتها تحت نظر الدولة، أما بالنسبة للخواص فقد كانوا يحوزون على ملكية بعض الفنادق المخصّصة للتجار المحليين والأفارقة، والمسلمين.

وفي الغالب تقع نفقات البناء والاصلاح والترميم التي تتطلبها الفنادق على عاتق السلطة الحاكمة، أمّا المداخيل من رسوم الكراء، والتخزين ونفقات العقود، فيستخلصها القنصل لحسابه وحساب دولته، ومن هنا يتضح لنا حجم الامتيازات والتسهيلات التي تمتعت بها الدول الأوربية في بلاد المغرب عموما والمغرب الأوسط على وجه الخصوص.

أما مدينة تلمسان قاعدة المغرب الأوسط وحاضرة ملوك بني عبد الواد فبعدما تزايد عمرانها واتسعت خطتها[46] أقيمت بها مجموعة من الفنادق أكثر من غيرها، وهذا لمكانتها

الفنادق بالمغرب الأوسط ودورها في تعزيز الصلات الاقتصادية
بوسالم أحلام ، المجلد الرابع عشـر، العدد 1، ديسمبر 2023،
ص ص 43-56
DOI: 10.54242/1702-014-001-003
ISSN (Online): 2571-9742
ISSN (Print) : 1112-945X

كعاصمة للدولة، ولأهميتها التجارية والاقتصادية، وموقعها الاستراتيجي المحلي كما أشرنا آنفا، وكانت تلك الفنادق تسمى أحيانا باسم البضائع التي تخزن فيها مثل: فندق الصوف المغزول، وفندق القمح، وفندق الفحم، وفندق الخضرة، وفندق الملح وغيرها[47]، ولعلّ أهم الفنادق التي كانت تؤم بالباعة والسلع بحاضرة تلمسان التالي:

فندق الرمانة[48] :

كان مقرا لمزاولة العديد من الحرف، ومخزنا للعديد من السلع التي كانت تعرض في مصطبته المركزية على غرار منتوجات دور الدباغة، وهو مبنى من طابقين، كانت حوانيته في الطابق الأرضي مخصّصة لحرفة البلاغجية، ممّا أدى بالبعض في زمن متأخر إلى إطلاق اسم **فندق الخرّازين** على هذا المبنى، وبقيت هذه الحرفة تمارس فيه إلى غاية الفترة الاستعمارية حيث تحول إلى مقهى شعبي[49] ومكان لاجتماع الثوار إبان الثورة التحريرية[50].

فندق المامي:

يقع هذا الفندق ضمن الحيز الذي كانت تشغله القيسارية، تبلغ مساحته حوالي 150 متر مربع، يضم عند مدخله غرفتين، واسطبل مخصصة لراحة الدواب[51]، على يمينه حوض مائي مستطيل الشكل تحيط به بلاطات خزفية يقود إلى صحن مستطيل أرضيته مبلطة بالحجارة، أما الطابق العلوي يتضمن من ثلاث عشرة فرفة مستطيلة ومربعة مهيأة لمبيت المسافرين، والملاحظ أن هذا الفندق من فنادق تلمسان التي حافظت على وظيفتها الأصلية[52].

فندق أبو علي:

يعتبر من أكبر فنادق تلمسان في الفترة الزيانية، تبلغ مساحته الكلية حوالي 200متر مربع، يقع في الحي الاقتصادي للمدينة، يحتوي على دكاكين في طابقه السفلي، ومخازن لحفظ السلع، وإسطبل، وفي الطابق الأول غرف وعددها سبع واسعة في الجهات الثلاث إضافة إلى مستودعات لحفظ السلع[53].

ومجمل هذه الفنادق لها دور مهم في تنظيم التجارة، واستقبال التجار وعائلاتهم، ممّا ساهم في استقرارهم، واهتمامهم بتجارتهم ومتابعة مختلف الصفقات[54]، ما كان له الدور البارز في تنظيم التجارة ورواجها، وتعزيز المداخيل، والعائدات المالية المترتبة عن عملية كراء المحلات، إضافة إلى وظيفتها السياسية، باعتبارها مقرا للقنصل إذ تحتوي على العديد من ممثلي الدول التجارية المتعاملة مع الدولة الزيانية وفي مقدمتهم: القنصل ونائبه، وكاتب الحسابات وغيرهم من الموظفين، فبعد أن كانت المبادلات فردية وتجرى بطريقة عشوائية أصبحت العلاقات

ISSN (Online): 2571-9742
ISSN (Print) : 1112-945X

والمبادلات تجري في إطار قانوني تحت رقابة الدولة وسيطرتها عن طريق التمثيل القنصلي، الذي يعمل على حفظ مصالح التجار ورفع انشغالاتهم وتظلماتهم إلى السلطة الحاكمة[55].

خاتمة:

رافق التطور التجاري والازدهار البحري لسواحل المغرب الأوسط، انتشار عدة مرافق ومؤسسات اقتصادية ، على رأسها: الفنادق. تنوعت العمارة التجارية بالمغرب الأوسط لتشمل الأسواق والقيساريات، والوكالات والورشات، والفنادق والدكاكين والحوانيت، واختلفت كل منشأة تجارية عن الأخرى من حيث الخصائص والوظيفة.

يعتبر الفندق مؤسسة تجارية يحتوي على العديد من المنشآت والملحقات كالغرف والمستودعات والدكاكين والإسطبلات والكنيسة والمقبرة والأفران التي تقدم خدمات متعددة للتجار منها: المبيت، وتخزين السلع والبضائع، وتأدية الشعائر الدينية... .

لعبت الفنادق كمنشآت تجارية في المغرب الأوسط أدوارا جد هامة في تحقيق التواصل الحضاري بين الأمم والشعوب عن طريق تقديم الخدمات وتسهيل السبل للتجار والوافدين من أجل التبادل التجاري. ظهرت الفنادق في المغرب الاوسط منذ الفترات الاسلامية الأولى لتنتشر خلال العهد الموحدي وتتطور خلال الفترة الزيانية.

انتشرت الفنادق في مدن المغرب الأوسط خلال العهد الزياني خاصة المدن الساحلية التي كانت مقصد تجار الدول الأروبية والممالك الإيطالية لتبادل السلع والبضائع، وكانت أغلبها تقع بجانب الأبواب الكبرى للمدن، وهذا نظرا للأهمية التجارية التي تكتسيها.و حسب المعلومات والإشارات المتوفرة لدينا يمكن القول أن فترة إقامة التجار المسيحيين بفنادق تلمسان خلال الفترة الزيانية إتسمت بالأمن والحماية، حتى أنهم كانوا أحرارا في التصرف في سلعهم وبضائعهم دون التعرض للضغط.

الهوامش:

[1]- ابن منظور مكرم بن علي جمال الدين، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، مصر، دت، ص: 1473.

[2]- عمر بلوط، الفنادق في مدينة تلمسان الزيانية، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة الجزائر، 2003- 2004 ، ص: 86.

ISSN (Online): 2571-9742
ISSN (Print) : 1112-945X

[3]- علي عشي، التوجه البحري للمغرب الأوسط وأثره في طرق التجارة والمواصلات(2-10هـ/8-16م)، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية جامعة باتنة1، 2016-2017، ص: 539.

[4]- أوليفيا ريمي كونستابل، إسكان الغريب في العالم المتوسطي السكن والتجارة والرحلة في أواخر العصر القديم وفي العصر الوسيط، تع- تق محمد الطاهر المنصوري- مرا: محمد ياسين الصيد، دار المدار الإسلامي، 2013، ص: 121.

[5]- لطيفة بشاري، التجارة الخارجية لتلمسان في عهد الإمارة الزيانية من القرن السابع إلى القرن العاشر الهجريين(13-16م)، جامعة الجزائر، 1986-1987، ص: 120، كريم عاتي الخزاعي، أسواق بلاد المغرب من القرن السادس الهجري حتى نهاية القرن التاسع الهجري، الدار العربية للموسوعات، دم، دت، ص: 59.

[6]- روبار برنشفيك، تاريخ إفرقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م، تع: حمادي الساحلي، ج01، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988، ص: 464.

[7]- ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب، تح: محمد غبراهيم الفكتاني، محمد بن تاويت، محمد زنيبر، عبد القادر زمامة، ج3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2002، ص: 350.

[8] - De mas Latrie, traités de paix et de commerce et documents divers, les relations des chrétiens avec les arabes de lafrique septentrionale au moyen age, avec une introduction historique, paris,1866, p - p: 89 -91

[9]- أوليفيا ريمي كونستابل، المرجع السابق، ص: 121.

[10]- القنصل: هو الممثل الرسمي للدولة أو المدينة، يعين القنصل من طرف السلطة العليا في بلاده، لفترة زمنية معلومة محددة بسنتين بالنسبة لكل من جنوة وبيزا وأراغون، وما بين سنة إلى سنتين بالنسبة للبندقية، يساعد الفنصل نواب ومساعدون توكل إليهم مهمة إدارة شؤون المهاجرين، والعمل على جرد البضائع المتوفون عنها أصحابها وتجميع الميراث والدفاع عن السياسة العامة للموارد المتوفرة أو المنتظر إيرادها أمام الجمارك وحكومة المسلمين. ينظر. علي عشي، المرجع السابق، ص: 542.

[11]- علي عشي، المرجع السابق، ص : 539.

[12]- عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني(دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية)، ج1، موفم للنشر، الجزائر، ص: 137.

[13] -De mas Latrie , opcit, p :169.

[14]- علي عشي، المرجع السابق، ص - ص: 539- 540 .

[15]- عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، 1984، ص: 169.

[16]- أوليفيا ريمي كونستابل، المرجع السابق، ص: 121.

[17]- نفسه، ص: 122.

[18]- لتفاصيل أكثر عن المغرب الأوسط وبلاد كتامة خلال الحكم الأغلبي. ينظر: محمد بن عربة، بلاد كتامة في ظل الصراع بين الجماعة الإسماعيلية والإمارة الأغلبية (280-296هـ/893-909م)، مج: 09، ع: 02، مجلة الحوار

ISSN (Online): 2571-9742
ISSN (Print) : 1112-945X

المتوسطي، مخبر البحوث والدراسات الإستشراقية في حضارة المغرب الإسلامي، الجزائر، 2018، ص - ص: 225-256.

[19]- القاضي النعمان،افتتاح الدعوة، تح: فرحات الدشراوي، ط2، الشركة التونسية للنشر والتوزيع، تونس، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986، ص- ص: 50- 51. محمد بن عربة، الجماعة الإسماعيلية ودورها الثقافي والاجتماعي في مرحلة الدعوة في بلاد المغرب الأوسط145- 296هـ/741- 909م، أطروحة دكتوراه، كلية الأداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، 2022- 2023، ص - ص: 207-208.

145-296هـ/741-909م

[20]- إبن الزيات التادلي، **التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي**، تح: أحمد التوفيق، ط2، منشورات كلية الآداب، الرباط، المغرب، 1997، ص: 429.

[21] -De mas Latrie , opcit, p :169.

[22]- مارمول كربخال، إفريقيا، تر: محمد حجي، محمد زنيبر، أحمد التوفيق، أحمد بنجلون، ج3، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1988- 1989، ص: 37.

[23]- مريم محمد عبد الله جبودة، التجارة في بلاد إفريقية وطرابلس الغرب خلال العهدين الموحدي والحفصي(555هـ/1160- 1572)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، جامعة الزقازيق،مصر، 2008، ص: 270.

[24]- حارث علي عبد الله، الفنادق ودورها في النشاط التجاري لبلاد المغرب خلال العصر الاسلامي، مجلة الارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، مج: 2، ع: 41، 2021، ص - ص: 602.

[25]- إبن الزيات التادلي ، المصدر السابق، ص: 378.

[26]- نفسه، ص: 429.

[27] -De mas Latrie , opcit, p :89 .

[28]- ibid, p :90 .

[29]- محمد بن ساعو، العمارة التجارية في المغرب الاوسط خلال العهد الزياني من خلال مصنفات النوازل والحسبة(07-09هـ/13-15م)، مج:11، ع: 01، المجلة المغاربية للمخطوطات، الجزائر، 2015، ص: 30.

[30]- حارث علي عبد الله، الفنادق ودورها في النشاط التجاري لبلاد المغرب خلال العصر الاسلامي، مج: 02، ع:41، مجلة الارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، 2021، ص: 600.

[31]-عبد الناصر جبار، القناصل والتمثيل القنصلي بين الدولة الحفصية والقوى المسيحية في الغرب الأروبي فيما بين القرنين الرابع عشر والسادس عشر الميلاديين، الثامن والعاشر الهجريين من خلال وثائق فلورنسا ووثائق أرغونة، مجلة الآداب والعلوم الانسانية، مج: 16، ع02، 2019، ص: 112.

[32]- صالح بعيزق، بجاية في العهد الحفصي دراسة اقتصادية واجتماعية، منشورات كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، تونس، 2006، ص: 237. علي عشي، المرجع السابق، ص: 541.

ISSN (Online): 2571-9742
ISSN (Print) : 1112-945X

[33]- عبد الناصر جبار، الفنادق، فنادق التجار المسيحيين في الدولة الحفصية، الأندلس- المغرب، مجلة جامعة قادس، إسبانيا، 2010، ص: 78.

[34]- لقد وصف ابن خلدون العلاقات التجارية بين تلمسان والسودان بقوله:"... فلا بد لهم في كل سنة من رحلة الشتاء إلى قصور توات وبلد تمنطيت، ومع ناجعتهم تخرج قفول التجار من الأمصار والتلول حتى يحطوا بتمنطيت، ثم يبذرقون منها إلى بلاد السودان". ينظر: ابن خلدون عبد الرحمن، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب العجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ضبط: خليل شحادة- مرا: سهيل زكار، ج7، دار الفكر للطباعة والنشروالتوزيع، بيروت، لبنان، 2001، ص: 77.

[35]- العبدري محمد بن محمد بن علي البلنسي، الرحلة المغربية، تق: سعد بوفلاتة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، عنابة، الجزائر، 2007، ص - ص: 27- 28. الحاج عبد الله بن الصباح الأندلسي، نسبة الأخبار وتذكرة الأخيار: رحلة حجازية ، تح: جمعة شيخة، ع: 45-46، مجلة دراسات أندلسية، تونس، 2011، ص: 56.

[36]- إبراهيم فرغل محمد، قيساريات وأسواق مدينة تلمسان في العصر الزياني633-962هـ/1235-1554م)، مجلة كلية اللغة العربية بإيتاي البارود، ع: 33، مصر، ص: 1306.

[37] - لتفاصيل أكثر عن تجارة الرقيق ببلاد المغرب الأوسط. ينظر: محمد بن عربة، تجارة الرقيق في بلاد المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط: الأصناف – المراكز، ضمن الكتاب الجماعي: دراسات إفريقية، منشورات مخبر البحوث و الدراسات الاستشراقية في حضارة المغرب الإسلامي، الجزائر، 2020، ص: 55- 86.

[38]- سامية بوعمران، الجزائر الوسيطية في المصادر الأجنبية، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص: 315.

[39]- أحمد عزاوي، العلاقات بين العالمين الإسلامي والمسيحي في العصر الوسيط من خلال نصوص عربية للمراسلات واتفاقيات السلم والتجارة، ج1، الغرب الاسلامي والغرب المسيحي، القرن 6-8هـ/ 12-14م)، مطبعة رباط نات، المغرب، 2011، ص- ص: 10-11.

[40]- علي عشي، المرجع السابق، ص: 545

[41] -De mas Latrie , opcit, p :172

[42]- الحسن الوزان، بن محمد الفاسي، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي- محمد الاخضر، ط2، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983، ص: 24.

[43]- نفسه، ص: 30.

[44]- عبد القادر حاج يخلف، العلاقات الخارجية للدولة الزيانية، مج: 01، ع: 02، مجلة عصور الجديدة،جامعة وهران، 2011، ص: 152.

[45]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص: 139.

[46]- ابن خلدون، ج5، المصدر السابق، ص: 105.

[47]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص: 138.

ISSN (Online): 2571-9742
ISSN (Print) : 1112-945X

[48]- يقع هذا الفندق بجوار القيسارية تبلغ مساحته 20متر، واشتق إسمه من شجرة رمان تتوسط ساحته المركزية، غير أن هناك العديد من التأويلات حول هذه التسمية وأصل هذا الفندق، حيث يذهب البعض حسب أحد المختصين في مجال العمارة أن اسمه كان نتيجة تخزين قشور الرمان بهذا الفندق والتي كانت تستعمل لوظيفة صبغ الجلود أن هذا الفندق كان يختص بحرفة بيع الموازين وإصلاحها حيث كان به ميزان يدعى الرمانة. ينظر: عمر بلوط، المرجع السابق، ص: 90.

[49]- عمر بلوط، المرجع السابق، ص: 91.

[50]- محمد بن زغادي، لمحة عن العمائر المدنية بمدينة تلمسان العتيقة، مج: 9، ع: 1، مجلة الباحث في العلوم في العلوم الانسانية والاجتماعية، 2018، ص: 166.

[51]- عمر بلوط، المرجع السابق، ص: 91.

[52]- محمد بن زغادي، المرجع السابق، ص:165 .

[53]- عمر بلوط، المرجع السابق، ص: 95.

[54]- علي عشي، المرجع السابق، ص: 541.

[55]- محمد مريم عبد الله جبودة، المرجع السابق، ص: 275.